مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

تَعْرِيفُ الْبِدْعَةِ

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَعْرِفَ الْبِدْعَةَ؛ لِنَحْذَرَهَا، كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ الشِّرْكَ؛ حَتَّىٰ لَا نَقَعَ فِيهِ، وَحَتَّىٰ نُجَانِبَهُ -بِفَضْلِ اللهِ جَلَّوَعَلَا-.

وَالْبِدْعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ؛ كَأَنْ تَقُولَ: هَذَا الشَّيْءُ بَدِيعٌ -يَعْنِي هُوَ جَدِيدٌ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]؛ أَيْ: مُحْدِثُهُمَا بِغَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ يَعْنِي: مَا أَنَا بِأَوَّلِ رَسُولٍ، قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ، فَأَنَا لَسْتُ بِدْعًا؛ يَعْنِي: لَسْتُ جَدِيدًا لَمْ يَسْبِقْ مِثْلِي فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَ عَلَيَّ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَقَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ؟!!

فَالْبِدْعَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا أُحْدِثَ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.

وَأَمَّا فِي الشَّرْعِ: فَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ فِي الدِّينِ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ، وَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْبِدْعَةُ: مَا أُحْدِثَ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا مِمَّا لَيْسَ لَهُ مُسْتَنَدٌ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ.

وَالشَّائِعُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ تَعْرِيفُ الشَّاطِبِيِّ فِي «الِاعْتِصَامِ» قَالَ: «الْبِدْعَةُ عِبَارَةٌ عَنْ: طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ -سُبْحَانَهُ-».

هَذَا تَعْرِيفُ الشَّاطِبِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ التَّعَارِيفِ، وَمِنْ أَحْسَنِهَا.

وَقَدْ قَيَّدَهَا بِثَلَاثَةِ قُيُودٍ كَمَا فِي التَّعْرِيفِ:

* **أَنَّهَا طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ:** كَابْتِدَاعِ صَلَوَاتٍ، أَوِ ابْتِدَاعِ أَدْعِيَةٍ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ.

خَرَجَ بِقَوْلِهِ طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ: مَا كَانَ طَرِيقَةً فِي الدُّنْيَا، كَالصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، هَذِهِ لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ، وَهَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَيَقُولُونَ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ تَعَلَّقَ بِدِينٍ أَوْ دُنْيَا فَهُوَ بِدْعَةٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُجَانِبَهُ، وَأَنْ نُحَارِبَهُ، فَيَقُولُونَ: مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا! وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

طَرِيقَةٌ فِي «الدِّينِ» مُخْتَرَعَةٌ.

هُمْ يَقُولُونَ لَنَا: أَنْتُمْ تَرْكَبُونَ الطَّائِرَاتِ، نَقُولُ: وَمَا فِي ذَلِكَ؟!

يَقُولُونَ هِيَ بِدْعَةٌ...! بِدْعَةٌ عِنْدَكُمْ؛ وَلِذَلِكَ تُفَجِّرُونَهَا! وَأَمَّا نَحْنُ فَهَذَا مِمَّا اسْتُحْدِثَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِمَا نَحْنُ فِيهِ.

طَرِيقَةٌ فِي «الدِّينِ» مُخْتَرَعَةٌ.

فَقَوْلُهُ: طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ: خَرَجَ بِهِ مَا كَانَ طَرِيقَةً فِي الدُّنْيَا، كَالصِّنَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ.

مُخْتَرَعَةٌ: يَعْنِي لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الشَّرِيعَةِ، كَإِحْدَاثِ الْمَوَالِدِ وَالْحَوْلِيَّاتِ وَنَحْوِهَا.

فَخَرَجَ بِذَلِكَ مَا لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ مِمَّا يُقَالُ لَهُ الْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ، كَجَمْعِ الْقُرْآنِ، وَتَدْوِينِ السُّنَّةِ، وَبِنَاءِ الْمَدَارِسِ الشَّرْعِيَّةِ، وَتَصْنِيفِ الْعُلُومِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هَذِهِ -أَيْضًا- لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهِيَ بِدْعَةٌ، وَهِيَ مِنَ الدِّينِ!

فَيُقَالُ: لَا، هَذِهِ مِمَّا يُقَالُ لَهُ: الْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ.

وَالْمُشْكِلَةُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الْعِلْمِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، يَعْنِي لَا يَعْرِفُ لَا مَصْلَحَةً لَا مُرْسَلَةً وَلَا مُقَيَّدَةً، وَيَخْبِطُ خَبْطَ الْعَشْوَاءِ، بَلْ خَبْطَ الْعَمْيَاءِ، وَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ، وَيَعْتَرِضُ عَلَىٰ الْعُلَمَاءِ.

تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ: أَيْ تُمَاثِلُ الشَّرْعَ وَتُحَاكِيهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُضَاهِي الشَّرْعَ، فَلَا تُعَدُّ بِدْعَةً.

فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ قُيُودٍ فِي هَذَا التَّعْرِيفِ لِلشَّاطِبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

الْأَوَّلُ: أَنَّهَا طَرِيقَةٌ فِي الدِّينِ مُخْتَرَعَةٌ.

الثَّانِي: تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ.

الثَّالِثُ: يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَيَتَقَرَّرُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْبِدْعَةَ لَا أَصْلَ لَهَا فِي الشَّرْعِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَقَدْ قَرَّرْنَا فِي قَاعِدَةِ السُّنَّةِ وَالْبِدْعَةِ، أَنَّ الْبِدْعَةَ فِي الدِّينِ هِيَ: مَا لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهُوَ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ وَلَا اسْتِحْبَابٍ».

قَالَ أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ -كَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَغَيْرِهِ-: «إِنَّ الْبِدْعَةَ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ؛ لِأَنَّ الْبِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا!!».

الْمُبْتَدِعُ يَتَقَرَّبُ بِبِدْعَتِهِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا بِمَا ابْتَدَعَ، وَهَذَا مُهِمٌّ جِدًّا، حَتَّىٰ فِي تَعْرِيفِ الْبِدْعَةِ: أَنَّ الْمُبْتَدِعَ يَتَقَرَّبُ بِمَا ابْتَدَعَ لِلَّهِ - بِزَعْمِهِ - وَيَتَعَبَّدُ بِهِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

قَوْلُهُمْ: «لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ» مُهِمٌّ جِدًّا وَقَيْدٌ ضَرُورِيٌّ؛ لِأَنَّهُ لَوْ تَعَبَّدَ بِشَرْعٍ مُخْتَرَعٍ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ لِرَسُولِ اللهِ لَكَفَرَ.

فَمِنْ رَحْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْمُبْتَدِعَةِ يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ -يَعْنِي هُوَ لَا يُرِيدُ أَنْ يُعَانِدَ الشَّرْعَ-، وَلَكِنْ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَقَرَّبَ بِمَا ابْتَدَعَ وَاخْتَرَعَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّقَرُّبِ لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

فَمِنْ رَحْمَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ -حَتَّىٰ بِأَهْلِ الْبِدْعَةِ- أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِهَذَا الْقَيْدِ يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَخْتَرِعُ شَرْعًا وَيُشَرِّعُ لِنَفْسِهِ شَرْعًا يَتَعَبَّدُ بِهِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُحَادَّةِ وَالْمُعَانَدَةِ لِرَسُولِ اللهِ؛ لَا يَكُونُ مُسْلِمًا.

يَقُولُونَ: لَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْمُعَانَدَةِ.

هُنَاكَ قَوَاعِدُ فِي مَسْأَلَةِ الْبِدَعِ، وَعَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ السُّنِّيِّ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي مَعْرِفَتِهَا وَتَحْرِيرِهَا؛ مِنْهَا -مَثَلًا-: إِذَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ عِبَادَةً مِنَ الْعِبَادَاتِ، مَعَ كَوْنِ سَبَبِهَا قَائِمًا فِي عَهْدِهِ، وَعَدَمِ الْمَانِعِ مِنْ فِعْلِهَا، فَتَرْكُهَا سُنَّةٌ وَفِعْلُهَا بِدْعَةٌ.

إِذَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الشَّيْءِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ، وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ.

مِثْلُ: تَرْكِ الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَقَوْلِ: «الصَّلَاةَ جَامِعَةً» فِي الْعِيدِ.

الْمُقْتَضِي قَائِمٌ؛ لِأَنَّهُمْ يُصَلُّونَ لَا بِوَقْتٍ مُنْضَبِطٍ، إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ قَامُوا إِلَىٰ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَلَيْسَ لِخُرُوجِهِ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ كَمَا فِي سَائِرِ الصَّلَوَاتِ.

إِذَنِ؛ الْمُقْتَضِي قَائِمٌ، يُصَلُّونَ فِي الْخَلَاءِ، يَخْرُجُ النَّاسُ إِلَىٰ الْمُصَلَّىٰ -لَا فِي الْمَسْجِدِ-، وَيَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَالْمُقْتَضِي لِلْأَذَانِ أَوِ الْإِقَامَةِ أَوْ قَوْلِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً قَائِمٌ، وَلَا مَانِعَ مَا الَّذِي يَمْنَعُ؟

يَا بِلَالُ! أَذِّنْ... أَقِمْ... قُلِ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً.

يَا ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ... يَا أَبَا مَحْذُورَةَ....

لِأَيٍّ مِنَ الْمُؤَذِّنَيْنِ مُؤَذِّنَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الْفِعْلِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ.؛ فَالتَّرْكُ سُنَّةٌ وَالْفِعْلُ بِدْعَةٌ.

الْعِتَاقَةُ الْكُبْرَىٰ، وَالْعِتَاقَةُ الصُّغْرَىٰ.

إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ جَمَعُوا قَوْمًا، وَصَنَعُوا طَعَامًا، وَأَمَرُوا الْقَوْمَ أَنْ يَقْرَؤوا سُورَةَ الْإِخْلَاصِ -يَقُولُونَ: الصَّمَدِيَّةَ- أَلْفَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَهَبُوا ثَوَابَ مَا قَرَؤُوا لِلْمُتَوَفَّىٰ، هَذِهِ عِتَاقَةٌ صُغْرَىٰ، أَوْ يَجْمَعُونَ مَا فَوْقَ هَذَا الْعَدَدِ وَيَقْرَؤونَ مَا فَوْقَ هَذَا الْعَدَدِ مِنْ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ بِالْعِتَاقَةِ الْكُبْرَىٰ.

النَّبِيُّ ﷺ قَامَ الْمُقْتَضِي لِهَذَا الْفِعْلِ فِي عَهْدِهِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ.. لِمَ؟!!

لِأَنَّ عِتْقَ الرِّقَابِ هُوَ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ الْمُهَابُ.

النَّبِيُّ ﷺ إِنَّمَا أَرْسَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِيُعْتِقَ بِهِ وَبِاتِّبَاعِهِ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ، فَعِتْقُ النَّاسِ مِنَ النِّيرَانِ أَجَلُّ مَقَاصِدِ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الَّتِي جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ.

إِذَنِ؛ الْمُقْتَضِي قَائِمٌ، عِتْقُ الرَّقَبَةِ مِنَ النَّارِ، هُمْ يَقُولُونَ: عِتْقُ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ بِالْعِتَاقَةِ الْكُبْرَىٰ أَوْ بِالْعِتَاقَةِ الصُّغْرَىٰ.

هَذَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ فِي الشَّرْعِ، بَلْ مِنْ أَهَمِّ الْمَطْلُوبَاتِ فِيهِ، بَلْ عَلَىٰ رَأْسِ الْمَطْلُوبَاتِ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ أَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنَ النَّارِ.

فَالْمُقْتَضِي قَائِمٌ عَلَىٰ عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَانِعُ مُنْتَفٍ، مَا الَّذِي كَانَ يَمْنَعُ أَنْ يَدْعُوَ الْعَشَرَةَ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ؛ لِيُعْتِقُوا بِقِرَاءَتِهِمْ لِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَنْ مَاتَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ.. مَا الَّذِي يَمْنَعُ؟!!

لَا مَانِعَ.

إِذَنْ؛ قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِ الْفِعْلِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ، فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ، وَهُوَ مَا يُقَالُ لَهُ: السُّنَّةُ التَّرْكِيَّةُ، فَكَمَا أَنَّ هُنَالِكَ فِي السُّنَنِ مَا هُوَ قَوْلِيٌّ.. مَا هُوَ فِعْلِيٌّ.. مَا هُوَ تَقْرِيرِيٌّ، هُنَاكَ مَا هُوَ تَرْكِيٌّ.. سُنَّةٌ تَرْكِيَّةٌ.

مَا قَامَ الْمُقْتَضِي لِفِعْلِهِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَرَكَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَلَمْ يَفْعَلْهُ؛ فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ، إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، صِرْتَ غُصَّةً فِي حُلُوقِ الْمُبْتَدِعَةِ.

كُلُّ مَا يَأْتُونَ بِهِ يُمْكِنُ أَنْ تُعَاكِسَهُمْ فِيهِ عَلَىٰ هَذِهِ السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ ﷺ.

الْقَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ: كُلُّ عِبَادَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ تَرَكَ فِعْلَهَا السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَإِنَّهَا تَكُونُ بِدْعَةً، إِذَا كَانَ الْمُقْتَضِي لَهَا قَائِمًا فِي عَهْدِهِمْ وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، كَمَا هُوَ الشَّأْنُ فِي السُّنَّةِ مَعَ رَسُولِ اللهِ، كَالِاحْتِفَالِ بِمَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ.. يَحْتَفِلُونَ بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ -وَلَا مَانِعَ- وَلَكِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ، فَالتَّرْكُ سُنَّةٌ وَالْفِعْلُ بِدْعَةٌ.

كُلُّ تَقَرُّبٍ إِلَىٰ اللهِ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ مِنْ وَجْهٍ لَمْ يَعْتَبِرْهُ الشَّرْعُ فَهُوَ بِدْعَةٌ، يَعْنِي -مَثَلًا- مَنِ اتَّخَذَ لُبْسَ الصُّوفِ عِبَادَةً وَقُرْبَةً إِلَىٰ اللهِ؛ لِأَنَّ الشَّارِعَ لَمْ يَعْتَرِفْ بِهَذَا، الشَّارِعُ لَمْ يَعْتَبِرْهُ؛ يَعْنِي لَمْ يَرِدْ فِي الشَّرْعِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا أَنَّ

أَصْحَابَهُ تَقَرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِلُبْسِ الصُّوفِ، وَأَمَّا أَنْ تَلْبَسَ الصُّوفَ لِلْبَرْدِ أَوْ مَا أَشْبَهَ فَهَذَا شَأْنُكَ، أَمَّا لِلتَّعَبُّدِ فَهَذِهِ بِدْعَةٌ.. لِلتَّعَبُّدِ فَهَذِهِ بِدْعَةٌ!

كُلُّ عِبَادَةٍ وَرَدَتْ فِي الشَّرْعِ عَلَىٰ صِفَةٍ مُقَيَّدَةٍ، فَتَغْيِيرُ هَذِهِ الصِّفَةِ بِدْعَةٌ؛ يَعْنِي مَنْ أَرَادَ -مَثَلًا- أَنْ يُقَدِّمَ الْأُضْحِيَةَ فِي أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ، أَوْ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي غَيْرِ مَسْجِدٍ؛ لِأَنَّ الْعَمَلَ لَا تُصِيبُ فِيهِ الِاتِّبَاعَ إِلَّا إِذَا جِئْتَ فِيهِ بِسِتَّةِ أُمُورٍ:

الْجِنْسُ -جِنْسُ الْعَمَلِ- أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا، وَالسَّبَبُ -سَبَبُ الْعَمَلِ- أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا، وَكَمُّهُ، وَكَيْفُهُ، وَزَمَانُهُ، وَمَكَانُهُ.

السَّبَبُ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مَشْرُوعًا، وَكَذَلِكَ جِنْسُ الْعَمَلِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَشْرُوعًا.

يَعْنِي لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ فِي الْأَضْحَىٰ بِدِيكٍ -مَثَلًا- هَذَا لَيْسَ مِنْ جِنْسِ مَا يُضَحَّىٰ بِهِ.

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْجِنْسُ مَشْرُوعًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ السَّبَبُ مَشْرُوعًا، كَالَّذِينَ يُحْيُونَ -مَثَلًا- لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

وَأَنْ يَكُونَ مُقَيَّدًا بِالْكَمِّ، يَعْنِي لَا تُصَلِّي الظُّهْرَ ثَمَانِ رَكْعَاتٍ عِنْدَ نَشَاطِكَ -مَثَلًا- أَوْ رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْحَرِّ مِنْ غَيْرِ سَفَرٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ تُقَيِّدَ: الْجِنْسَ، وَالسَّبَبَ، وَالْكَمَّ -الْمِقْدَارَ-، وَالْكَيْفَ.

فَمَنْ سَجَدَ قَبْلَ الرُّكُوعِ فَصَلَاتُهُ بَاطِلَةٌ، لَا بُدَّ مِنَ الْإِتْيَانِ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

يَعْنِي لَوْ قَالُوا -مَثَلًا- كَمَا قَالَ بَعْضُ الزَّائِغِينَ قَالُوا: أَشْهُرُ الْحَجِّ مُحْتَمِلَةٌ لِوُقُوعِ الْحَجِّ فِيهَا، فِي هُوجَةٍ وَقَعَتْ قَدِيمًا مِنْ سَنَوَاتٍ، قَالُوا: الزِّحَامُ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ يُمْكِنُ أَنْ نَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ، فَقِيلَ: كَيْفَ؟!!

قَالُوا: نُقَسِّمُ هَؤُلَاءِ الْحُجَّاجَ أَقْسَامًا، يَحُجُّونَ عَلَىٰ ثَلَاثِ دُفْعَاتٍ!! وَيَقَعُ هَذَا الْحَجُّ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ!! أَهُوَ شَرْطٌ أَنْ يَقِفُوا بِعَرَفَةَ فِي يَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ؟!!

فَلْيَقِفُوا بِعَرَفَةَ فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنْ أَشْهُرِ الْحَجِّ!!

لَا أَدْرِي لِمَاذَا لَمْ يَقُولُوا: فَلْيَقِفُوا -مَثَلًا- عَلَىٰ هَضْبَةٍ فِي صَحْرَاءِ سَيْنَاءَ، أَوْ فِي الصَّحْرَاءِ الْغَرْبِيَّةِ، بَدَلًا مِنَ الْمَشَقَّةِ؟!!

فَأَهْلُ الْغَرْبِ يَحُجُّونَ فِي الصَّحْرَاءِ الْغَرْبِيَّةِ، وَأَهْلُ الشَّمَالِ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَحُجُّونَ فِي سَيْنَاءَ، وَيَرْتَاحُ النَّاسُ!!

لَا بُدَّ مِنَ: الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْكَمِّ، وَالْكَيْفِ، وَالْجِنْسِ، وَالسَّبَبِ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَالْبِدَعُ تُقَسَّمُ أَقْسَامًا بِاعْتِبَارَاتٍ: مِنْهَا بِدْعَةٌ مُكَفِّرَةٌ، وَمِنْهَا بِدْعَةٌ مُفَسِّقَةٌ.

وَالتَّقْسِيمُ مُهِمٌّ -أَيْضًا- فِي مَعْرِفَتِهِ، عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذَا، حَتَّىٰ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُدَافِعَ عَنْ دِينِ جَلَّ وَعَلَا.

الْبِدَعُ مِنْهَا مَا هُوَ اعْتِقَادِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ عَمَلِيٌّ، وَالَّذِي رَكَّزَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ فِي الْمُصَنَّفَاتِ -كَالرَّدِّ عَلَىٰ الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَبِشْرٍ، وَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُعَطِّلَةِ وَغَيْرِهِمْ- إِنَّمَا كَانُوا يَرُدُّونَ عَلَىٰ الْبِدَعِ الِاعْتِقَادِيَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْبِدْعَتَيْنِ -الْبِدْعَةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ وَالْبِدْعَةِ الْعَمَلِيَّةِ-، وَالْخُصُومَةُ إِنَّمَا دَبَّتْ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالَّذِينَ ابْتَدَعُوا الْبِدَعَ الِاعْتِقَادِيَّةَ.

الَّذِينَ أَتَوْا بِبَعْضِ الْبِدَعِ الْعَمَلِيَّةِ أَمْرُهَا قَرِيبٌ، وَهِيَ بِدَعٌ -أَيْضًا- وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، وَلَكِنْ لَمَّا ظَهَرَ الْجَهْمِيَّةُ، وَظَهَرَ الْمُعْتَزِلَةُ، وَجَاءَ الْمُؤَوِّلَةُ، وَظَهَرَ الْخَوَارِجُ، وَظَهَرَ فِي مُقَابِلِهِمُ: الْمُرْجِئَةُ، ثُمَّ ظَهَرَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُعَطِّلَةِ، فَظَهَرَ فِي مُقَابِلِهِمُ الْمُجَسِّمَةُ وَالْمُشَبِّهَةُ.

هَؤُلَاءِ جَمِيعًا كَانَتْ بِدَعُهُمْ بِدَعًا اعْتِقَادِيَّةً، وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ هَذَا التَّقْسِيمَ، وَوَرَاءَهُ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ لِلْبِدَعِ، حَتَّىٰ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَفْهَمَ مَا يَقُولُونَ، وَنَفْهَمَ كَلَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُعَاصِرِينَ عِنْدَمَا يَرُدُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ.

إِذَا عَرَفْنَا هَذِهِ الْأُمُورَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْبِدَعِ فَهِمْنَا كَلَامَ عُلَمَائِنَا وَهُمْ يَرُدُّونَ عَلَىٰ أَهْلِ الْبِدَعِ.

فَلَا تَكُ بِدْعِيًّا؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ!

لَا مَجَالَ لِلزِّيَادَاتِ وَالْإِضَافَاتِ وَالِاسْتِحْسَانَاتِ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ؛ أَيْ: فِي دِينِ اللهِ.

وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ فِي تَقْسِيمِ الْبِدْعَةِ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَبِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ.

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَعْرِفَ تَقْسِيمَاتِ الْبِدْعَةِ، وَهُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَبِدْعَةٌ سَيِّئَةٌ.

وَيَأْتُونَ بِالْبِدَعِ الَّتِي يُرِيدُونَ تَمْرِيرَهَا وَتَمْشِيَتَهَا، وَيَقُولُونَ: بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ.. هَذِهِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَهَذَا عَجِيبٌ!!

فَرَدَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

قَالَ: «كُلٌّ: عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ سُورٌ كُلِّيٌّ عَامٌّ، أَقْوَىٰ أَلْفَاظِ الْعُمُومِ عِنْدَ الْمَنَاطِقَةِ «كُلٌّ»».

«**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» قَالَ: لَمْ يَسْتَثْنِ الرَّسُولُ شَيْئًا؛ يَعْنِي الرَّسُولُ ﷺ يَا مَنْ تَقُولُونَ بِالْبِدْعَةِ الْحَسَنَةِ لَمْ يَقُلْ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ إِلَّا بِدْعَةَ كَذَا، وَبِدْعَةَ كَذَا، وَبِدْعَةَ كَذَا» هَلْ قَالَ الرَّسُولُ ذَلِكَ ﷺ؟!! إِنَّمَا قَالَ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، فَكُلُّ الْبِدَعِ ضَلَالَاتٌ، هَذَا كَلَامُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَالَّذِي يَقُولُ: إِنَّ مِنَ الْبِدَعِ بِدْعَةً حَسَنَةً كَأَنَّهُ يُكَذِّبُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وَكَذَلِكَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

www.menhag-un.com

فَلَا تُوجَدُ أَبَدًا بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ فِي دِينِ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَالَّذِي يُلَبِّسُونَ عَلَيْكَ بِهِ، كَمَا قُلْتُ لَكَ يُسَمَّىٰ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَضُمُّ شَيْئًا آخَرَ، وَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ أُصُولِ الِاسْتِدْلَالِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

يَقُولُ: الِاسْتِحْسَانُ وَلَهُ قَوَاعِدُهُ الَّتِي قَعَّدَهَا الْأُصُولِيُّونَ، وَأَخَذَ بِهَا مَنْ أَخَذَ مِنْ عُلَمَائِنَا -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ-، وَنَجْتَهِدُ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ نُوَفَّقَ لِاتِّبَاعِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالسُّنَّةُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْكِتَابُ.. الْقُرْآنُ لَا يَسْتَغْنِي عَنِ السُّنَّةِ، وَإِلَّا فَلَوْ قُلْتَ: أَنَا لَا آخُذُ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، فَقُلْنَا لَكَ: كَيْفَ تُصَلِّي؟!!

فَقُلْتَ: أُصَلِّي!

نَقُولُ لَكَ: كَيْفَ تُصَلِّي كَمَا يَقُولُ الْقُرْآنُ؟ الْقُرْآنُ يَقُولُ: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ! أَيْنَ كَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ اللهِ؟

آتُوا الزَّكَاةَ: أَيْنَ هِيَ الْأَنْصِبَاءُ؟

وَأَيْنَ هِيَ الْأَمْوَالُ الزَّكَوِيَّةُ؟

وَأَيْنَ الْمَصَارِفُ؟ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَيَّنَتْهَا السُّنَّةُ.

وَكَذَلِكَ ﴿**فَاقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا**﴾ [المائدة: ٣٨]؛ الْيَدُ تَصْدُقُ عَلَىٰ الطَّرَفِ الْعُلْوِيِّ مِنْ مَفْصِلِ الْكَتِفِ إِلَىٰ أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، هَلْ نَقْطَعُ مِنْ مَفْصِلِ الْكَتِفِ؟ أَمْ مِنَ الْكُوعِ؟ أَمْ مِنَ الرُّسْغِ؟ مَنِ الَّذِي يُبَيِّنُ لَنَا؟!!

يُبَيِّنُ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَالنَّبِيُّ ﷺ هَا هُنَا يُقَيِّدُ هَذَا الْمُطْلَقَ ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾.

فَالسُّنَّةُ تُقَيِّدُ الْمُطْلَقَ، وَتُخَصِّصُ الْعَامَّ، وَتُبَيِّنُ الْمُجْمَلَ، وَتُفَسِّرُ الْمُشْكِلَ.

السُّنَّةُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْهَا الْكِتَابُ، وَمِنْهَا أَحْكَامٌ جَاءَتْ مُسْتَقِلَّةً، لَمْ تَرِدْ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَمَرَنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْأَخْذِ بِهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

فَالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا أَحْكَامًا لَمْ تَأْتِ فِي الْكِتَابِ، أَصْلُهَا فِي الْكِتَابِ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الرِّسَالَةِ»، وَلَكِنْ لَيْسَتْ هِيَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَأَحْكَامٌ وَافَقَتِ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ، وَأَحْكَامٌ وَضَّحَتْ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْأَحْكَامِ الْمُجْمَلَةِ كَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

فَإِذَا كُنْتَ تُرِيدُ الْفَلَاحَ فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي دَلَّكَ عَلَيْهَا النَّاظِمُ رَحِمَهُ اللهُ:

تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبِ الْبِدَعَ، ثَلَاثَةُ أُمُورٍ؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ.

فَإِذَا أَرَدْتَ الْفَلَاحَ فَخُذْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ: تَمَسَّكْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاتَّبِعِ الْهُدَىٰ، وَتَجَنَّبِ الْبِدَعَ؛ لَعَلَّكَ تُفْلِحُ.

وَلَعَلَّهُ رَحِمَهُ اللهُ أَتَىٰ بِـ(لَعَلَّ) -كَمَا مَرَّ- بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْعَامِلِ؛ حَتَّىٰ لَا يَغْتَرَّ بِعَمَلِهِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا اغْتَرَّ بِعَمَلِهِ، فَوَقَعَ فِيمَا هُوَ شَرٌّ عَلَيْهِ، مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الشُّرُورِ.

إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِعَمَلٍ تَعْمَلُهُ!! بَلْ عُدَّ مَا عَمِلْتَ مَرْدُودًا عَلَيْكَ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

الرَّجُلُ يُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَصُومُ وَيَفْعَلُ الْخَيْرَ، وَيَخْشَىٰ أَلَّا يَقْبَلَ اللهُ مِنْهُ!!

لَوْ قَبِلَ اللهُ مِنَّا سَجْدَةً لَنَجَوْنَا.

لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَجْزِمَ بِقَبُولِ شَيْءٍ مِنْ طَاعَاتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وَلَكِنْ عَلَىٰ رَجَاءِ الْقَبُولِ نَطْمَعُ فِي رَحْمَتِهِ، نَرْجُوهُ، وَنَأْمُلُ مِنْهُ الْخَيْرَ، وَهُوَ لَهُ أَهْلٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أَمَّا أَنَّ عَمَلًا يَسْتَحِقُّ؟ فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَسْتَحِقُّ، وَلَوْ حَاقَقَنَا لَعَذَّبَنَا عَلَىٰ أَعْمَالِنَا الَّتِي نَرْتَضِيهَا لِرَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِيهَا مِنَ التَّقْصِيرِ مَا فِيهَا.

مِنْ أَعْظَمِ مَا يُمَيِّزُ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ: اعْتِصَامُ أَهْلِهَا بِكِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا وَبِسُنَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، مَعَ إِيمَانِهِمْ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ -كِتَابِ اللهِ-، وَفِي السُّنَّةِ -سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ-.

قَالَ النَّاظِمُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي أَتَـتْ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

بَعْد أَنْ ذَكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَصَادِرَ التَّلَقِّي، بَدَأَ الْآنَ يَتَكَلَّمُ عَمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ فِي كِتَابِ اللهِ جَلَّوَعَلَا.

«وَدِنْ»؛ أَيْ: تَعَبَّدْ وَاهْتَدِ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، حَلِّلْ حَلَالَهُ، حَرِّمْ حَرَامَهُ، اتَّبِعْ مُحْكَمَهُ، آمِنْ بِمُتَشَابِهِهِ، فَمَتَىٰ فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا.

«وَالسُّنَنِ الَّتِي»؛ أَيْ: كَمَا دِنْتَ بِكِتَابِ اللهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعًا، فَكَذَلِكَ دِنْ بِالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

السُّنَنُ: جَمْعُ سُنَّةٍ.

وَالسُّنَّةُ فِي اللُّغَةِ لَهَا مَعَانٍ مِنْهَا: الطَّرِيقَةُ.

الْمَقْصُودُ هُنَا: عَلَيْكَ بِطَرِيقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ أَوْ وَصْفٍ أَوِ اعْتِقَادٍ، كَمَا مَرَّ أَنَّ السُّنَّةَ فِي لِسَانِ رَسُولِ اللهِ تَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، لَا عَلَىٰ حَسَبِ الِاصْطِلَاحِ الْحَادِثِ.

فَإِذَا قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**» أَيْ عَلَيْكُمْ بِالْعَقِيدَةِ الَّتِي عَلَّمْتُكُمُوهَا، وَعَلَيْكُمْ بِالْعِبَادَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْمُعَامَلَةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، وَعَلَيْكُمْ بِالدِّينِ الَّذِي جِئْتُ بِهِ.

«**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**».. وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ.

لَا شَكَّ أَنَّ مَنْ يَعْمَلْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَلْتَزِمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّهُ يَنْجُو وَيَرْبَحُ!

www.menhag-un.com

«دِنْ بِكِتَابِ اللهِ»؛ دِنْ: فِعْلُ أَمْرٍ مِنْ: دَانَ يَدِينُ دِينًا؛ أَقِمْ دِينَكَ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، آمِنْ وَأَطِعْ وَامْتَثِلْ، مَا جَاءَ فِيهِمَا؛ تَصْدِيقُ الْأَخْبَارِ، وَفِعْلُ الْأَوَامِرِ، وَتَرْكُ النَّوَاهِي، وَكَذَلِكَ عَلَيْكَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَلْيَكُنْ دَيْدَنُكَ الْأَخْذَ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَاحْذَرْ أَنْ تُخَالِفَ السُّنَّةَ؛ فَإِنَّ مَنْ خَالَفَ السُّنَّةَ ابْتَدَعَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُبَيِّنًا السُّنَّةَ، وَأَنَّهَا الطَّرِيقَةُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ رضي الله عنه عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»-: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

آيَاتُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكِتَابُهُ الْمُنَزَّلُ يَتَعَلَّقُ بِهَا عِلْمٌ يُقَالُ لَهُ: (أَسْبَابُ النُّزُولِ)، وَأَسْبَابُ النُّزُولِ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ، فَأَكْثَرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ نَزَلَتْ لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُقْتَضٍ لِذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ فِي حَيَاةِ الصَّحَابَةِ وَالْمُجْتَمَعِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَهُنَاكَ آيَاتٌ نَزَلَتْ بِأَسْبَابٍ كَمَا فِي قِصَّةِ الْأَنْصَارِيِّ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فِي سَقْيِ الْأَرْضِ، وَوَقَعَ النِّزَاعُ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه كَلِمَةً كَبِيرَةً لِلنَّبِيِّ

ﷺ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَوْلَهُ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٥].

وَكَذَلِكَ فِي قِصَّةِ الْمُجَادِلَةِ.. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ.

الْعُلَمَاءُ بَيَّنُوا أَسْبَابَ النُّزُولِ.

السُّنَّةُ فِي مُقَابِلِ الْقُرْآنِ لَهَا أَسْبَابُ وُرُودٍ، فَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآيَاتِ يُقَالُ لَهُ: أَسْبَابُ النُّزُولِ، مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّنَّةِ يُقَالُ لَهُ: أَسْبَابُ الْوُرُودِ.

فَتَقَعُ وَقَائِعُ، وَتَحْدُثُ أَحْدَاثٌ، وَيَقْضِي فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُبَيِّنُ كَالْحَدِيثِ الَّذِي مَعَنَا؛ لِأَنَّ الْمُبْتَدِعَةَ وَأَهْلَ الضَّلَالِ يُرِيدُونَ تَوْظِيفَ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ -وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»- لِتَمْشِيَةِ مَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَةِ وَالْمُبْتَدَعَةِ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً؟ هَذِهِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ!!

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا هُوَ سَبَبُ وُرُودِ الْحَدِيثِ؟

قَوْمٌ مِنْ مُضَرَ جَاءُوا مُجْتَابِي النِّمَارِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ مُنَقَّطَةٌ قَدْ قَوَّرُوهَا مِنْ وَسَطِهَا، وَأَدْخَلُوا رُؤُوسَهُمْ مِمَّا أَحْدَثُوهُ فِيهَا، وَأَسْدَلُوهَا عَلَىٰ أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ وَالْجُوعِ، وَمَا يُعَانُونَ مِنَ الشَّغَفِ وَالشِّدَّةِ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

النَّبِيُّ ﷺ هُوَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ ﷺ، فَرَحِمَهُمْ، وَظَهَرَ الْأَسَىٰ وَالْحُزْنُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، وَدَعَا الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم إِلَىٰ التَّصَدُّقِ، جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ صُرَّةٌ قَدْ حَمَلَهَا

بِيَدَيْهِ أَوْ بِإِحْدَىٰ يَدَيْهِ، وَظَلَّ سَائِرًا حَتَّىٰ جَاءَ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَجِزَتْ يَدُهُ عَنْ حَمْلِهَا، كَلَّتْ يَدُهُ، وَضَعُفَتْ عَضَلَاتُهُ عَنْ حَمْلِهَا مِنْ ثِقَلِهَا، فَوَقَعَتْ بَيْن يَدَيْ رَسُولِ اللهِ، فَتَهَلَّلَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ وَاسْتَبْشَرَ -وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَبْشَرَ وَفَرِحَ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ، أَوْ كَمِثْلِهِ الشَّمْسُ ﷺ- فَتَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَاسْتَنَارَ، وَقَالَ الْحَدِيثَ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**».

مَا هِيَ السُّنَّةُ الْحَسَنَةُ الْآنَ عَلَىٰ حَسَبِ هَذَا الْوُرُودِ؟

أَنَّ هَذَا الصَّحَابِيَّ فَتَحَ الْبَابَ فِي الصَّدَقَةِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالصَّدَقَةِ، وَجَاءَ الْقَوْمُ بَعْدَهُ مُتَتَابِعِينَ أَرْسَالًا يَتَصَدَّقُونَ، كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِ مَا يَسَّرَ اللهُ لَهُ، وَلَكِنْ مَنِ الَّذِي بَدَأَ؟

هُوَ.

هَلْ بَدَأَ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؟!!

الصَّدَقَةُ مَوْجُودَةٌ قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ، وَالْحَضُّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَذْكُورٌ فِي مَحَالِّهِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَدَّقَ، بَلْ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هُوَ بِمَا جَاءَ، وَأَنْ يَسُنَّ السُّنَّةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي قَالَ عَنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.. النَّبِيُّ قَبْلَهَا دَعَا إِلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَبَادَرَ هُوَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَصَدَّقَ، فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**».

أَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا مُقَارِبًا: النَّاسُ مَضَتْ عَلَيْهِمْ قُرُونٌ لَا يَعْرِفُونَ -مَثَلًا- الْعَقِيقَةَ، أَوْ يَعْرِفُونَهَا نَظَرِيًّا وَلَا يُطَبِّقُونَهَا عَمَلِيًّا، لَوْ أَنَّكَ فِي قَرْيَتِكَ، فِي حَيِّكَ، فِي بَلَدِكَ وُلِدَ لَكَ مَوْلُودٌ، فَعَقَقْتَ عَنْهُ، وَبَيَّنْتَ لِلنَّاسِ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي فَعَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَقَرَّهُ، بِجَمِيعِ صُوَرِ السُّنَّةِ فَفَعَلَهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ وَأَقَرَّهُ ﷺ.. لَوْ أَنَّكَ بَدَأْتَ أَنْتَ، وَلَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً قَبْلُ، فَلَكَ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ؛ لِأَنَّكَ سَنَنْتَ سُنَّةً حَسَنَةً فِي الْمَكَانِ، وَلَكِنْ هَلِ ابْتَدَعْتَهَا؟ هَلْ جِئْتَ بِهَا مِنْ كِيسِكَ؟ أَمْ هِيَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ وَفِعْلِهِ وَتَقْرِيرِهِ؟

هِيَ مِنَ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ.

عُمَرُ رضي الله عنه نَظَرَ نَظَرًا آخَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصَلَاةِ التَّرَاوِيحِ، أَوْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ.

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ -كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»- صَلَّىٰ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ فَصَلَّىٰ بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ كَثُرَ النَّاسُ، فِي الثَّالِثَةِ كَثُرَ النَّاسُ، فِي الرَّابِعَةِ فَاضَ الْمَسْجِدُ فَلَمْ يَخْرُجْ!!

فَصَلَّىٰ بِهِمْ ثَلَاثَ لَيَالٍ صَلَاةَ الْقِيَامِ فِي رَمَضَانَ، فِي الرَّابِعَةِ لَمْ يَخْرُجْ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: «**قَدْ عَلِمْتُ بِخُرُوجِكُمْ.. عَلِمْتُ بِكُمْ** -يَعْنِي أَنَا عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْ تُصَلُّوا مَعِي قِيَامَ اللَّيْلِ مِنْ رَمَضَانَ-، **فَأَنَا لَمْ أَخْرُجْ إِلَيْكُمْ عَامِدًا؛ لِأَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**».

فَخَشِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ فَيَعْجِزُوا عَنْهَا، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِهِمْ؛ يَعْنِي الْآنَ يُوَفِّقُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِصَلَاةِ قِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ.

كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا يُصَلُّونَ، لَوْ كَانَتْ فَرْضًا لَأَثِمَ مَنْ لَمْ يُصَلِّ، وَلَكِنْ سَنَّهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ، فَامْتَنَعَ عَنِ الْخُرُوجِ لِلصَّلَاةِ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُفْرَضَ عَلَىٰ الْأُمَّةِ؛ رَحْمَةً بِهِمْ ﷺ، ثُمَّ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

جَاءَ أَبُو بَكْرٍ، كَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ وَأَيَّامًا، فَكَانَتْ قَصِيرَةً، ارْتَدَّ فِيهَا مَنِ ارْتَدَّ، وَمَنَعَ الزَّكَاةَ مَنْ مَنَعَ، وَأَرَادَ أَنْ يُبَاشِرَ الْفُتُوحَ، فَوَقَعَ فِي عَصْرِهِ فُتُوحٌ عَظِيمَةٌ رضي الله عنه فَانْشَغَلَ، وَانْشَغَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ بِالْجِهَادِ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ إِحْيَاءِ هَذِهِ السُّنَّةِ فِي الْمَسَاجِدِ، الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ يَخْرُجُونَ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ قُبُورَ الصَّحَابَةِ مُنْتَشِرَةٌ فِي كُلِّ بِلَادِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، خَرَجُوا مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسُيُوفِهِمْ وَبِأَلْسِنَتِهِمْ وَحُجَّتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِيمُ مُعَلِّمًا وَمُقْرِئًا وَمُهَذِّبًا وَدَاعِيًا إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّىٰ يُدْفَنَ عِنْدَ أَسْوَارِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ رضي الله عنه.

فَلَمْ يَجِدْ فُرْصَةً رضي الله عنه، وَلَا مَنْ مَعَهُ رضي الله عنهم مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْتُوا بِهَذِهِ السُّنَّةِ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةً كَمَا فَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ أَوَّلًا، ثُمَّ كَفَّ خَشْيَةَ الْفَرْضِيَّةِ.

جَاءَ عُمَرُ.. فِي صَدْرٍ مِنْ خِلَافَتِهِ انْشَغَلَ بِالْفُتُوحِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَمْرُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي عَهْدِهِ دَخَلَ الْمَسْجِدَ لَيْلَةً فَوَجَدَ النَّاسَ أَوْزَاعًا مُتَفَرِّقِينَ يُصَلُّونَ

-يُصَلِّي الرَّجُلُ مَعَ الرَّجُلِ، وَيُصَلِّي الرَّجُلُ بِالرَّجُلَيْنِ فَيَقُومُونَ اللَّيْلَ فِي رَمَضَانَ- قَالَ: «أَرَىٰ لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ لَكَانَ حَسَنًا».

فَجَمَعَهُمْ عَلَىٰ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ ذَلِكَ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أُبَيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ- قَالَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ!!

فَالْمُبْتَدِعَةُ يَأْخُذُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ يَقُولُونَ: عُمَرُ قَالَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ!!

هَذَا أُسْلُوبُ مَدْحٍ، إِذَنْ مِنَ الْبِدَعِ مَا هُوَ حَسَنٌ وَمَمْدُوحٌ!!

فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا الَّذِي مَدَحَهُ؟

هُوَ يَقُولُ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ... مَاذَا يَقْصِدُ؟

هَذِهِ بِدْعَةٌ لُغَوِيَّةٌ.

لِيش؟

لِأَنَّ النَّبِيَّ امْتَنَعَ عَنْهَا حَتَّىٰ مَاتَ ﷺ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَأْتِ بِهَا عُمَرُ صَدْرَ خِلَافَتِهِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا بَعْدَ انْقِطَاعٍ، فَلَمَّا جَاءَ بِهَا بَعْدَ انْقِطَاعٍ سَمَّاهَا بِدْعَةً؛ لِهَذَا الِانْقِطَاعِ الَّذِي وَقَعَ بَعْدَهَا مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ لَا مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ، لِأَنَّهَا كَيْفَ تَكُونُ بِدْعَةً شَرْعًا وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ الَّذِي بَدَأَهَا؟!!

وَهُنَا تَأْتِي الْقَاعِدَةُ الَّتِي مَرَّتْ فِي السُّنَّةِ التَّرْكِيَّةِ.

إِذَا وُجِدَ الْمُقْتَضِي لِلشَّيْءِ، وَانْتَفَىٰ الْمَانِعُ مِنْ فِعْلِهِ ثُمَّ تَرَكَهُ، فَتَرْكُهُ سُنَّةٌ وَفِعْلُهُ بِدْعَةٌ.

طَبِّقْ هَذَا عَلَىٰ مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وُجِدَ الْمُقْتَضِي لِلشَّيْءِ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَىٰ إِمَامٍ وَاحِدٍ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ فِي الْمَسْجِدِ.

الْمُقْتَضِي مَوْجُودٌ، وَلَكِنَّ الْمَانِعَ مَوْجُودٌ أَيْضًا، وَهُوَ خَشْيَةُ الْفَرْضِيَّةِ.

فَلَمَّا انْتَفَىٰ الْمَانِعُ بِمَوْتِ رَسُولِ اللهِ -لِأَنَّهُ لَا فَرْضَ بَعْدَ الرَّسُولِ-، فَلَمَّا انْتَفَىٰ الْمَانِعُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ رَجَعَ عُمَرُ إِلَىٰ الْأَصْلِ.

فَهَلْ رَجَعَ إِلَىٰ السُّنَّةِ أَمْ رَجَعَ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ؟!!

رَجَعَ إِلَىٰ السُّنَّةِ.

وَلَكِنْ لِأَنَّ عُمَرَ.. عُمَرُ كَمَا النُّقَّادُ الْأَدَبِيُّونَ: أَكْبَرُ نَاقِدٍ أَدَبِيٍّ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ!

قَدْ تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا!!

كَانَ عُمَرُ مُمَيِّزًا بَيْنَ جَيِّدِ الشِّعْرِ وَرَدِيئِهِ، وَكَانَ رضي الله عنه مُمَيِّزًا لِحَسَنِ الْكَلَامِ مِنْ قَبِيحِهِ، وَكَلَامُهُ مَعَ وَلَدِ زُهَيْرٍ -كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ- بِشَأْنِ مَا كَانَ مِنْ مَمَادِحِ زُهَيْرٍ لِمَنْ مَدَحَهُ، قَالَ: مَاذَا أَعْطَوْا أَبَاكَ؟

فَقَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: وَمَا صَنَعَ؟

قَالَ: فَنِيَ مَا أَعْطَوْهُ.

قَالَ: وَلَكِنَّ مَا أَعْطَاهُمْ أَبُوكَ لَا يَفْنَىٰ.

وَكَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرًا مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوْلِيَّاتِ -كَمَا تَعْلَمُونَ-، وَلَكِنْ لِأَنَّ عُمَرَ كَانَ حَكِيمًا مُتَرَيِّثًا، وَكَانَ يَحْتَرِمُ الْكَلَامَ الْجَادَّ الَّذِي لَا هَزْلَ فِيهِ وَلَا سَفَهَ، فَكَانَ يُقَدِّمُ زُهَيْرًا وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُعَاظِلُ بَيْنَ الْكَلَامِ، وَهَذَا مُصْطَلَحٌ عِنْد النُّقَّادِ الْأَدَبِيِّينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَقَبْلَهُ، فَعُمَرُ رضي الله عنه يَقُولُ بِسَلِيقَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ رضي الله عنه: «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ».

وَهُوَ يُكَلِّمُ أَقْوَامًا يَفْهَمُونَهُ، وَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

عَلَـيَّ نَحْـتُ الْقَـوَافِي مِـنْ أَمَاكِنِهَـا ... وَلَا عَلَـــيَّ أَلَّا يَفْهَـــمَ الْبَقَـــرُ

يَعْنِي إِذَا جَاءَ نَاسٌ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَفْهَمُونَ مَا ذَنْبِي أَنَا؟!!

يَعْنِي إِذَا كُنْتُ قُلْتُ كَلَامًا مُسْتَقِيمًا؛ ثُمَّ أَنْشَأَ اللهُ بِحِكْمَتِهِ أَقْوَامًا لَا يَفْهَمُونَ فَنَظَرُوا فِي الْكَلَامِ فَلَمْ يَفْهَمُوهُ، أَوْ حَمَلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَحَامِلِهِ، وَنَزَّلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ مَنَازِلِهِ مَا ذَنْبِي أَنَا؟!!

عَلَـيَّ نَحْـتُ الْقَـوَافِي مِـنْ أَمَاكِنِهَـا ... وَلَا عَلَـــيَّ أَلَّا يَفْهَـــمَ الْبَقَـــرُ

وَهَلْ يَفْهَمُ الْبَقَرُ؟!!

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي ... أَتَـتْ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

صلى الله على محمد وآله وسلم.

www.menhag-un.com

أُصُولُ الِاسْتِدْلَالِ عِنْدَ الْأُصُولِيِّينَ مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ:

* **الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ:** هَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقَعْ فِيهِ خِلَافٌ قَطُّ.

* **الْأَصْلُ الثَّالِثُ: الْإِجْمَاعُ،** وَالشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ فِي الْقِصَّةِ الْمَشْهُورَةِ ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

وَكَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**لَا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلَالَةٍ**».

الرَّابِعُ: الْقِيَاسُ، وَهُوَ إِلْحَاقُ الْفَرْعِ بِالْأَصْلِ فِي الْحُكْمِ لِعِلَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِقِيَاسِ الْعِلَّةِ.

قَالَ بِهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنْكَرَهُ الظَّاهِرِيَّةُ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ فِي الْخِلَافِ الْمَشْهُورِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ.

فَالَّذِي عِنْدَنَا كَمَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ إِلَّا طَوَائِفُ شَاذَّةٌ كَالْقُرْآنِيِّينَ وَأَمْثَالِهِمْ وَهَؤُلَاءِ لَا يُذْكَرُونَ عِنْدَ الْخِلَافِ أَصْلًا؛ يَعْنِي عِنْدَ عَدِّ الْخِلَافِ هَؤُلَاءِ لَا يُذْكَرُونَ.

فَعِنْدَ جَمَاهِيرِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ هُمَا -يَقُولُ الْعُلَمَاءُ-: هُمَا مَصْدَرُ التَّشْرِيعِ، بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: هُمَا مَصْدَرَا التَّشْرِيعِ، مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَنْ لَا يَجْعَلُهُمَا إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا فَيَقُولُ: هُمَا -يَعْنِي الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ- مَصْدَرُ التَّشْرِيعِ.

وَأَمَّا مَنْ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُلُّنَا رَادٌّ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ، كَمَا قَالَ إِمَامُ دَارِ الْهِجْرَةِ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ.

فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الَّتِي سَاقَهَا إِلَيْكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي دَاوُدَ -رَحِمَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ وَالسُّـــنَنِ الَّتِـــي أَتَـتْ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

وَنَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَجْعَلَنَا جَمِيعًا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَأَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com